@ 70 @ والترغيب والترهيب ويفيد أيضا ذكر الأسماء الحسنى بعد الأحكام أن الأمر الديني والجزائي أثر من آثارها وموجب من موجباتها وهي مقتضية له | (141) ثم قال تعالى : ! 2 2 ! تقدم تفسيرها وكررها لقطع التعلق بالمخلوقين وأن المعول عليه ما اتصف به الإنسان لا عمل أسلافه وآبائه فالنفع الحقيقي بالأعمال لا بالانتساب المجرد للرجال | (142 - 143) ! 2 2 ! قد اشتملت الآية الأولى على : معجزة وتسلية وتطمين قلوب المؤمنين واعتراض وجوابه من ثلاثة أوجه وصفة المعترض وصفة المسلم لحكم ا ودينه | فأخبر تعالى أنه سيعترض السفهاء من الناس وهم الذين لا يعرفون مصالح أنفسهم بل يضيعونها ويبيعونها بأبخس ثمن وهم اليهود والنصارى ومن أشبههم من المعترضين على أحكام ا وشرائعه وذلك أن المسلمين كانوا مأمورين باستقبال بيت المقدس مدة مقامهم بمكة ثم بعد الهجرة إلى المدينة نحو سنة ونصف - لما تعالى في ذلك من الحكم التي سيشير إلى بعضها وكانت حكمته تقتضي أمرهم باستقبال الكعبة فأخبرهم أنه لا بد أن يقول السفهاء من الناس : ! 2 2 ! وهي استقبال بيت المقدس أي : أي شيء صرفهم عنه ؟ وفي ذلك الاعتراض على حكم ا وشرعه وفضله وإحسانه فسلاهم وأخبر بوقوعه وأنه إنما يقع ممن اتصف بالسفه قليل العقل والحلم والديانة فلا تبالوا بهم إذ قد علم مصدر هذا الكلام فالعاقل لا يبالي باعتراض السفيه ولا يلقي له ذهنه | ودلت الآية على أنه لا يعترض على أحكام ا إلا سفيه جاهل معاند وأما الرشيد المؤمن العاقل فيتلقى أحكام ربه بالقبول والانقياد والتسليم كما قال تعالى : ! 22 ! ! 2 ! 2 الآية ! 2 2 ! وقد كان في قوله السفهاء ما يغني عن رد قولهم وعدم المبالاة به | ولكنه تعالى مع هذا لم يترك هذه الشبهة حتى أزالها وكشفها مما سيعرض لبعض القلوب من الاعتراض فقال تعالى : ! 2 2 ! لهم مجيبا : ^ (المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) أي : فإذا كان المشرق والمغرب ملكا ليس جهة من الجهات خارجة عن ملكه ومع هذا يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ومنه هدايتكم إلى هذه القبلة التي هي من ملة أبيكم إبراهيم فلأي : شيء يعترض المعترض بتوليتكم قبلة داخلة تحت ملك ا لم تستقبلوا جهة ليست ملكا له ؟ فهذا يوجب التسليم لأمره بمجرد ذلك فكيف وهو من فضل ا عليكم وهدايته وإحسانه أن هداكم لذلك فالمعترض عليكم معترض على فضل ا حسدا لكم وبغيا | ولما كان قوله : ^ (يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) ^ والمطلق يحمل على المقيد فإن الهداية والضلال لهما أسباب أوجبتها حكمة ا وعدله وقد أخبر في غير موضع من كتابه بأسباب الهداية التي إذا أتى بها العبد حصل له الهدى كما قال تعالى : ^ (يهدي به ا من اتبع رضوانه سبل السلام

) ^ ذكر في الآية السبب الموجب لهداية هذه الأمة مطلقا بجميع أنواع الهداية ومنة ا عليها فقال : ^ (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) ^ أي : عدلا خيارا وما عدا الوسط فأطراف داخلة تحت الخطر فجعل ا هذه الأمة وسطا في كل أمور الدين وسطا في الأنبياء بين من غلا فيهم كالنصارى وبين من جفاهم كاليهود بأن آمنوا بهم كلهم على الوجه اللائق بذلك ووسطا في الشريعة لا تشديدات اليهود وآصارهم ولا تهاون النصارى | وفي باب الطهارة والمطاعم لا كاليهود الذين لا تصح لهم صلاة إلا في بيعهم وكنائسهم ولا يطهرهم الماء من النجاسات وقد حرمت عليهم طيبات عقوبة لهم ولا كالنصارى الذين لا ينجسون شيئا ولا يحرمون شيئا بل أباحوا ما دب ودرج | بل طهارتهم أكمل طهارة وأتمها وأباح ا لهم الطيبات من المطاعم والمشارب والملابس والمناكح وحرم عليهم الخبائث من ذلك فلهذه الأمة من الدين أكمله ومن الأخلاق أجلها ومن الأعمال أفضلها | ووهبهم ا من العلم والحلم والعدل والإحسان ما لم يهبه لأمة سواهم فلذلك كانوا ^ (أمة وسطا) ^ [كاملين] ليكونوا ^ (شهداء على الناس) ^ بسبب عدالتهم وحكمهم بالقسط يحكمون على الناس من سائر أهل الأديان ولا يحكم عليهم غيرهم فما شهدت له هذه الأمة بالقبول فهو مقبول وما شهدت له بالرد فهو مردود فإن قيل : كيف يقبل حكمهم على غيرهم والحال أن كل مختصمين غير مقبول قول بعضهم على بعض ؟ قيل : إنما لم يقبل قول أحد المتخاصمين لوجود التهمة فأما إذا انتفت التهمة وحصلت العدالة التامة كما في هذه الأمة فإنما المقصود الحكم بالعدل والحق وشرط ذلك العلم والعدل وهما موجودان في هذه الأمة فقبل قولها | فإن شك شاك في فضلها وطلب مزكيا لها فهو أكمل الخلق نبيهم صلى ا عليه وسلم فلهذا قال تعالى : ^ (ويكون الرسول